

المورفولوجية العربية الحديثة والصناعة المعجمية

Modern Arabic morphology and lexical industry

د. بن عدة فاطمة

جامعة أحمد زيانة، غليزان (الجزائر)

ddafatima87@gmail.com

تاريخ القبول: 2023/02/01

تاريخ الاستلام: 2022/12/04

الملخص:

لكل لغة نظام يختص بها ويميّزها عن غيرها من اللغات، واللغة العربية كما غيرها من اللغات نظام لغوي خاص وأصول وصفات خاصة تعرف بها من غيرها، فهي متكونة من أصوات منتظمة في كلمات منتظمة في جمل دالة على معاني مختلفة، لهذا ظهر جليا عجز الإنسان عم الإحاطة بما يفترض أن يستعمله في نشاطاته اللغوية المختلفة من عناصر، وعلى حاجته الماسة إلى مراجع تمدّه بما قد تفتقر إليه حصيلته اللغوية من هذه العناصر؛ فحاجة الإنسان للمعجم تظل ضرورية كونه يحقق للغة الحفظ والصون من عوائل الزمن، ذلك أن الذاكرة البشرية لا تقوى على حمل كل مفردات اللغة. وهو ما وقفنا عليه في (المعجم الوسيط).

الكلمات المفتاحية: المعجمية، المورفولوجية، الصناعة، العربية.

Abstract:

Each language has a system that is specific to it and distinguishes it from other languages, and the Arabic language, like other languages, has a special linguistic system and special origins and adjectives that are known by it from others, as it is made up of regular sounds in regular words in sentences indicating different meanings. He is well aware of the elements he is supposed to use in his various linguistic activities, and his urgent need for references that provide him with what his linguistic collection may lack of these elements. The human need for the dictionary remains necessary because it achieves the language of preservation and preservation from the families of time, because human memory is not strong enough to carry all the vocabulary of the language. This is what we found in (the middle dictionary).

Keywords: lexical, morphological, industry, Arabic

اللغة ظاهرة إنسانية عامة تشيع في المجتمعات البشرية، ولكل لغة نظام يختص بها ويميّزها عن غيرها من اللغات، واللغة العربية كما غيرها من اللغات نظام لغوي خاص وأصول وصفات خاصة تعرف بها من غيرها¹ فهي متكونة من أصوات منتظمة في كلمات منتظمة في جمل دالة على معاني مختلفة، لكن لهذا فإنّ "اللغة نظام

* د. بن عدة فاطمة

تخضع له، وقواعد مُقرّرة فليست فوضى، وليست تتألف من أشياء لا رابط بينها، فلها نظام معيّن في توزيع أصواتها، ونماذج محدّدة في بناء كلماتها وجملها، ولولا هذا النظام لما تحقّق لها هدف² فهذا النّظام الشامل من الصوتي والبنائي خوّل لها تحقيق هذه الغاية، غاية تنشُد المعنى المتوخّى من المزج بين كلّ هذه الأنظمة.

حقيقة النظام اللغوي الذي تسير عليه اللغة العربية هو "مجموعة القوانين والقواعد والأحكام التي تحكم هذه اللغة وتخضع لها ألفاظها وعباراتها، ويلتزم بها أبنائها التزاما يعينهم على التفاهم وتبادل الخبرات والمعلومات"³

تحتل الكلمة دورًا في تشكيل البنية اللغوية، ذلك أن دلالات الألفاظ ذات ظواهر مختلفة متأرجحة بين ظواهر لغوية مختلفة حتى أن "البحث في المعنى لن يتم إلا بحضور البحث الصوتي أولاً، ثم الصيغ الصرفية، فالدخول في التركيب"⁴ فللدلالة الصوتية السبق في العلاقة بين الألفاظ ومعانيها، وهذا الأمر كان العلماء على دراية به حين رصّدوا كتبهم بالحديث عنه في حدود الفصاحة.

من مفرداتها وتراكيبها فإن إحاطته بكل "مفردات اللغة تكاد تكون أمراً مستحيلاً، كما أن احتفاظه بكل ما تلقن وحفظ من هذه المفردات يبقى أمراً صعباً أيضاً؛ بل إنه لا يكاد يقوى على الاحتفاظ في ذاكرته إلا بأقل القليل، وفي حدود ما يستعمله ويستحضره في ذهنه منها"⁵ التركيز على الحافظة قد يفقد اللغة الكثير من إمكانياتها بالنسيان والضياع والخلط الذي يحصل بين الاستعمالات، وحي ظروف الحياة تفعل فعلتها فيها، لهذا يظل المعجم الوسيلة الأنجع لحفظ اللغة.

لهذا ظهر جلياً "عجز الإنسان عم الإحاطة بما يفترض أن يستعمله في نشاطاته اللغوية المختلفة من عناصر، وعلى حاجته الماسة إلى مراجع تده بما قد تفتقر إليه حصيلته اللغوية من هذه العناصر؛ تده أو تذكره بما قد يغيب عن ذهنه من ألفاظ لغته وصيغها وتراكيبها اللفظية الفصيحة، كما تزوده بمعان ومدلولات هذه الألفاظ والصيغ والتراكيب، وتعرفه بمواقع وأساليب وأشكال استعمالاتها المختلفة السليمة المقبولة في نطاق الجماعة اللغوية"⁶ حاجة الإنسان للمعجم تظل ضرورية كونه يحقّق للغة الحفظ والصون من عوائل الزمن، ذلك أن الذاكرة البشرية لا قنوى على حمل كل مفردات اللغة.

الصناعة المعجمية عند العرب:

يحتل القرآن الكريم قطب الرحي في الدرس اللغوي عند العرب؛ فالدراسات "اللغوية من أقدم الدراسات عند العرب، لأنها نشأت مصاحبة للدراسات القرآنية؛ فعناية المسلمين بالقرآن ومحاولتهم فهمه أدّت إلى العناية باللغة التي نزل بها"⁷ يبدو أن العناية بالقرآن الكريم حقّق هدفين هما: تعبّدي يختص بالكلام الإلهي في قدسيته للتقرب ونيل رضا الخالق عز وجل، والثاني علمي لمعرفة خبايا هذا النص والوقوف على معالنه لفظاً ومعنى.

ظلت اللغة العربية "محتفظة بسلامتها ممتعة باستقلالها، لم يتسرب إليها لحن، ولم يتطرق إليها خطأ طالما لم يختلط العرب بغيرهم من أهالي البلاد المجاورة لهم، كالفرس، والهنود واليونان، حيث كان العربي ينطق العربية الفصحى بالسليقة دون ما كتاب يقرؤه، أو معلم يقوم لسانه، ولكما أوغل العربي في البداوة لكما صحت عربيته، واستقام لسانه"⁸ ما حفظ للعربية سلامتها هو عدم الاختلاط مع باقي اللغات المجاورة لذا لم يتسرب إليها اللحن، لكن الأمر لم يبق كذلك مع شساحة الرقعة العربية ودخول الأمم في الحضرة الإسلامية.

وعليه "عندما أخذ العلماء في جمع المادة اللغوية من القبائل، إبان بدء التقييد للغة العربية، بدأوا بتحديد القبائل التي ترتضي عربيتها فيؤخذ منها، وقد روعي في ذلك أن تكون من القبائل الموعلة في البداوة التي يُطمأن إلى عدم اتّصالها بغير العرب، كما نصوا على القبائل التي لا يجوز الأخذ منها، لكونها قريبا من أطراف الجزيرة العربية خشية مظنة الاتصال بجيرانهم من أهالي فارس أو الشام أو الهند أو اليونان، مما يفسد عربيتهم وينال من فصاحتهم"⁹ العرب كانوا يعيشون بمحاذاة أمم أخرى لها لغتها وأساليبها اللغوية، لذا مخافة التسرب والتأثير على العربية وضع العلماء شروطا صرمة في الجمع والتدوين ساروا عليها لتحقيق سلامة اللسان العربي من الدخيل وغيره.

يظهر للباحث أن "حركة جمع اللغة العربية وتدوينها في بداية عهدها حركة عفوية تفتقر إلى قدر كبير من التنظيم والشمول، وهو أمر طبيعي؛ كان القصد منه تدوين الألفاظ وجمع المتنائر منها، فكان من ألف رسائل في الغريب، أو في النوادر، أو اللغات، أو الإنسان، أو الحيوان، أو النبات، ثم كان من جمع ما تفرق في هذه الرسائل داخل كتب أكبر حجما، وأكثر تنظيما وشولا، وهكذا ظهرت المعجمات التي تجمع ألفاظ اللغة، وتضبط مفرداتها، وتبين طرق لفظها، مقرونة بالشروح وتفسير المعاني"¹⁰ يبدو أن المشافهة كانت في مبتدأ الأمر، سمتها عدم الضبط والتنظيم، لأن الغاية كانت التقييد والتدوين بعدها في رسائل، والغاية من ذلك "صيانة وحفظا لكنز العربية من التفتت برحيل حفاظها، وحراسة لهذه اللغة الكريمة من أن يربض على حرمة أرضها دخيل"¹¹

مرحلة الجمع لألفاظ اللغة العربية لم تأت دفعة واحدة، وإنما تراوحت بين التدوين والترتيب "خلال مراحل تاريخية ثلاث، متصلة اتصالا وثيقا"¹² يمكن الوقوف على المرحلة الأولى في حدود ق1هـ حتى اواخر ق2هـ، حيث "كان علماء اللغة يأخذون الألفاظ العربية من أفواه عرب الصحراء، أو الوافدين على الأمصار الذين لم تتأثر ألسنتهم بمخالطة الأعاجم"¹³ حيث تم تحديد القبائل التي يأخذون عنها، إذ كانوا صارمين جدا في الانتقاء والاختيار على نوع من الإجماع والاتفاق بشئ من الاختلاف على نوح قبيلة: أسد، تميم، قيس، هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين. في بداية الأمر كانت مرحلة الجمع مقتصرة على الألفاظ "كيفما اتفق لهم دون ترتيب أو تنظيم، لأن الغاية كانت تتجه أولا إلى الجمع والتدوين دون غيره، خوفا على العربية من الغريب والدخيل"¹⁴ غاية الجمع والتقييد كانت الهدف المنشود، بعدها تلتها مراحل أخرى اتّسمت بالروح العلمية.

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة "تدوين الألفاظ في رسائل صغيرة متفرقة عرفت قدرا أكبر من التنظيم، بحيث جمعت كل رسالة منها مجموعة من الألفاظ التي يربطها رابط لفظي معين"¹⁵ ككتب الأصمعي، أو الأضداد، أو الأفعال، أو الإنسان، أو الحيوان وغيرها. اختصت المرحلة الثالثة بتسمية المعاجم الشاملة، لكن سابقاتها من المراحل كانت المرتكز، إلا أنهم "أضافوا إليها بجهودهم المتلاحقة قدرا أكبر من السعة، والشمول، والتقصي، والتنظيم، وأخرجوا بذلك المعجمات اللغوية الشاملة"¹⁶ وهو ما وقفت عليه الدراسات اللغوية الحديثة كمساهمة في الحفاظ على الإرث اللغوي العربي.

المعجم العربي تعريف وتوصيف:

إن الثروة اللغوية من كتب اللغة "على اختلاف موضوعاتها وغايتها وأساليبها إنما تؤلف وَحْدَةً، وكل كتاب منها بحسب قيمته، يعتبر لَبْنَةً أو حجرا أو زاوية أو عمودا أو دعامة في بناء المعجم العربي، وبنية هذا المعجم، هم جميع أولئك الذين اشتركوا في إقامة هذا الصرح العربي الضخم"¹⁷ فكل من ساهم من قريب أو من بعيد في جمع اللغة له الفضل في الحفاظ على الإرث اللغوي العربي مخافة أن تأثر عليه عوائد الزمن؛ هذا الصرح الضخم الذي لا يمكن للعقل البشري "صاحب اللغة أن يستوعب كل عناصر لغته ويحيط بكل مفرداتها وصيغها، مهما سمت قدراته واتسع علمه ودامت ممارسته لهذه اللغة، فلا يوجد عقل بشري كما يقول (ستيفن أولمان): مهما كان كبيرا يمكن أن يعي كل الثروة اللفظية بكل مصادرها الضخمة الواسعة"¹⁸ وهو أمر مرتبط بالتخزين والاسترجاع والتلقين لأمد طويل.

جاءت كلمة (معجم) من مادة (ع ج م) "وهي مادة تدل -في لغة العرب- على الإبهام والإخفاء، اللذين هما ضد البيان والإفصاح. فالعُجْمَة: الحُبْسَة في اللسان، ومن ذلك: رجل أعجم وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما، وإن كانا عربيين"¹⁹ لربما ضد الكلمة يوضحها أكثر، فالإبهام ضد الوضوح، لهذا الأعجم والعجمة فيها إبهام، وتجاوزهما يقودنا إلى الإفصاح وهو ما عملت عليه معاجم اللغة.

جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي في مادة (عجم) قوله: "العُجْمُ بالضم وبالتحريك: خلاف العرب. رجلٌ وقومٌ أعجم، والأعجم: من لا يفصح، كالأعجمي، والأخرس... والعجمي: من جنسه العجم وإن أفصح، ج: عَجْمٌ، ويسكون الجيم: العاقل المميز. أعجم فلان الكلام: ذهب به إلى العُجْمَة، والكتاب: نَقَطَهُ كَعَجْمِهِ وَعَجَّمَهُ"²⁰ أما اصطلاحا تطلق على "الكتاب الذي يضم مفردات اللغة أو يضم طائفة منها مرتبة ترتيبا خاصا، كل مفردة منها مصحوبة بما يرادفها أو يفسرها ويشرح معناها ويبيّن أصلها أو اشتقاقاتها أو استعمالاتها، وقد يوضح أصلها ويبيّن طريقة نطقها ويذكر ما يناظرها ويقابل معناها"²¹ مفردات اللغة مجموعة في كتاب ومرتبّة وفق ترتيب معين، مشروحة فيها الألفاظ بتبيان معناها وأصلها واشتقاقها هو المعجم.

بين المعجم والقاموس:

شاعت كلمة قاموس في سياق الحديث عن المعجم حتى صارت مرادفة لها، حيث "استعملت لفظة (قاموس) التي تعني في اللغة (البحر العظيم) أو وسطه أو أعرق بقعة فيه بصفتها مرادفة لكلمة (معجم) لدى بعض المهتمين باللغة"²² وكلمة "قاموس كانت تعني البحر، وقد حرص بعض اللغويين إطلاق اسم البحر أو صفة من صفاته على مؤلفاتهم"²³ ربما يكون لمعجم الفروآبادي (ت817هـ) الحضور المرتبط بللمة (القاموس) حيث أطلق على معجمه (القاموس المحيط) وهو كتدليل "على سعته وغزارته"²⁴ لكن هناك علماء أطلقوا تسمية (القاموس) على كتبهم فقد "أطلق الصاحب بن عباد على معجمه اسم المحيط، وأطلق ابن سيده على معجمه اسم المحكم أو المحيط الأعظم، وسمى الصاغانى معجمه العباب أو مجمع البحرين، وقد أسهم أحمد فارس الشدياق (ت1887) في شيوع كلمة قاموس بمعناها المولّد، أي بمعنى كلمة معجم عندما وضع كتابه (الجالوس على القاموس)"²⁵ لكنها شاعت بالتداول والاستعمال كمرادف لكلمة (معجم)، حتى "أصبحت فيما مرتبطة ارتباطاً قوياً بمدلول (المعجم) ومتداولة بهذا المدلول"²⁶ شيوع استعمال مصطلح (قاموس) بالتداول أصبح يدور في فلك المعجم دون حرج فلا مشاحة في الاسم.

المدارس المعجمية:

المعاجم اللغوية ذات قيمة في حياة الفرد والباحث حيث "تحيط هذه المعاجم كما يفترض بكل ما أثر أو وُثِر من مفردات اللغة أو بمعظمها أو بمجموعة كبيرة منها، وتكون الكلمات مادتها الرئيسية: تفسرها وتشرح غامضها، وتذكر مرادفاتاً أو دلالاتها واشتقاقاتها وصيغها، في حدودها العامة المشتركة وفي نطاقها الزمني الذي جمعت فيه، وقد تبينّ كيفيات استعمال هذه الكلمات وتدل على طريقة نطقها"²⁷ لذلك لها أهداف كثيرة ومفيدة منها:

- 1/ المحافظة على سلامة اللغة.
- 2/ جعل اللغة قادرة على مواكبة العلوم والفنون
- 3/ الكشف عن معاني الألفاظ المجهولة والغامضة.
- 4/ معرفة ظواهر لغوية كاملاً مشترك اللفظي والأضداد.
- 5/ معرفة أصل اللفظ واشتقاقاته.
- 6/ تاريخ اللفظ وتطوره واختلاف استعماله"²⁸ الحفاظ على اللغة بالوقوف على معانيها واستعمالاتها في الظواهر اللغوية كلها أهداف للحفاظ على اللغة يقوم بها المعجم.

أنواعها ومناهجها: يجد الباحث تنوع في مناهجها التي اتبعتها فهي متعدّدة ومتباينة :

"النوع الأول: يعالج اللفظة فيشرح مدلولها وجميع ما يتصل بها، ويتخذ لها منهاجا خاصا في ترتيب الألفاظ، وهذا النوع من المعاجم يسمى معاجم الألفاظ، ومنها: معجم العين للخليل بن أحمد، والصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، ولسان العرب لابن منظور (ت711هـ)، وأساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ت817هـ)، وتاج العروس للزبيدي (ت1205هـ)، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت691هـ).؛ يتحدد نوع المهجم هنا "حسب نقطة الانطلاق من المعلوم إلى المجهول، فإذا كان الباحث يعرف اللفظ ويريد الحصول على شيء مجهول لع يتعلق بالمعنى أو النطق، أو التأصيل الاشتقاقي، أو درجة اللفظ في الاستعمال... فإن مدخله إلى المعجم يكون من خلال اللفظ فيرجع إلى واحد من معاجم الألفاظ التي تتعدد طرق ترتيبها"²⁹ معاجم الألفاظ اختصت بجمع ألفاظ اللغة كيفما كانت دون تخصيص باب أو نوع.

النوع الثاني: يجمع الألفاظ التي تدور حول معنى واحد أو موضوع واحد، ويسمى معجم المعاني أو معجم الموضوعات، ومنها: فقه اللغة للثعالبي، والمختص لابن سيده³⁰ بيد أن الثراء الذي تميزت به اللغة العربية ر واضحا في التأليف المعجمي في شقيه، إضافة لهذا اتعددت طرق التأليف داخل معاجم الألفاظ ما سمي بالمدارس المعجمية.

المدارس المعجمية:

بعد هذه الجولة المعرفية "يمكن حصر المعاجم اللغوية التي ألفت وصنفت في اللغة العربية، بحسب طريقة ترتيب الألفاظ فيها، وجمعها في أبواب مرتبة ترتيبا معيناً في ثلاثة أقسام هي:

- أ) مدرسة التقليبات
- ب) مدرسة القافية
- ت) مدرسة الأبجدية العادية (الألفبائية)

1/ مدرسة التقليبات (Anagrammatical Order): "رائدها ومبتكرها العالم اللغوي العماني الأصل الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ، 175هـ) صاحب أول معجم شامل في تاريخ اللغة العربية هو معجم (العين)"³¹ بهذا يحصل الخليل على الأسبقية في التأليف مع ابتكاره لطريقة لم تكن شائعة من قبل وهي الترتيب الصوتي وطريقة التقاليب، فقد "نظر الفراهيدي إلى الحروف على أنها أصوات تخرج من جهاز النطق، وعمد إلى ترتيبها على أساس مخارجها من هذا الجهاز، فكانت على النحو التالي: (ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ا ي) ووفق هذا التسلسل جعل أبواب معجمه"³² المدرسة الصوتية سابقة في ميدان المعجم العربي مع الخليل بن أحمد، حيث ابتكرها لدواع علمية وبحثة لغوية، حيث جمع فيه "الكلمات المكونة من أصل لغوي واحد في موضع واحد مراعي الجانب الصوتي في الحروف، فهو يبدأ تقليب الأصل اللغوي بأبعد الحروف مخرجاً، ثم يتبعه بما يليه في المخرج ثم الذي يليه إلى أن ينتهي بما مخرجه من الشفتين؛ ومن ثم فهو يبدأ بالحروف

الحلقية، ثم يثني بالحروف اللسانية، ثم ينتهي بالشفوية³³ عرف هذا بالترتيب الصوتي الذي يجده الباحث في مقدمة المعجم، فلو تجاهلها لم أمكنه البحث بيسر ولصعب عليه الأمر. من أبرز المعاجم "المتبعة لهذا النظام شهرة نجد (تهديب اللغة) للأزهري (ت370هـ)، وكتاب (الحكم والمحيط الأعظم) لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت458هـ)³⁴ وهما معجمان ثريان باللغة، يعكسان مجهود العقل اللغوي العربي في أسمى رقيه المعرفي وفخره بلغته.

2/ مدرسة الأبجدية العربية:

نعني بها ترتيب الأبجدية العادية، وليس أبجديات التقليلات كما فصل ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة)، ورائد المدرسة ومبتكرها أبو عمرو الشيباني (94، 206هـ) في معجمه (الجيم)، وهي تقوم على وضع الألفاظ، وترتيبها في أبواب وفصول بحسب ترتيب الحروف الموجودة فعلا في الأصل اللغوي³⁵ الأبجدية العادية طريقة سار عليها جمع من العلماء رأوا فيها تحقق جمع وصيانة اللغة؛ تظهر طريقة البحث في هذه المعاجم في مقدمتها حيث "يخصص لكل حرف باب، ثم ترتب الحروف في الأبواب تبعا لأوائل أصولها بعد تجريدتها، فالكلمات التي تبدأ بالألف كحرف أصلي كلها في باب الألف، والكلمات التي تبدأ بالباء كلها في باب الباء وهكذا"³⁶ تظهر فيها نوع من السهولة مقارنة مع المدرسة الصوتية.

3/ منهج القافية:

طريقة هذا النوع من المعاجم هو التركيز على الحرف الأخير من الكلمة في البحث عنها حيث "يقسم المعجم وفق هذا المنهج إلى أبواب متسلسلة حسب تسلسل الحروف الهجائية، ثم ترتيب الكلمات بحسب أواخر حروفها الأصلية، ففي باب الراء مثلا توضع كل كلمة منتبهة بالراء كحرف أصلي، وفي باب الجيم كذلك، وترتب الكلمات ضمن أبوابها في فصول وفق أوائل أصولها فيصبح في كل باب 28 فصلا متسلسلة هي الأخرى حسب تسلسل الحروف الهجائية"³⁷ تسلسل الحروف الهجائية ثم التركيز على الحرف الأخير والذي قبله ثم الأول هي طريقة المعجم في المدرسة. من أبرز المعاجم التي تتبع "واعتمدت هذا النظام: الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي"³⁸ وهي معاجم لغوي ثرية بمفردات اللغة تسهل على الباحث معرفة معاني الألفاظ.

المورفولوجية:

الكلمة وحدة معجمية: "تعتبر الكلمة الوحدة المعجمية بامتياز، بالرغم من المشاكل الكثيرة التي تعترض المعجميين في تصنيف كلماتهم وترتيبها، كما تعتبر الوحدة الدالة الحاملة لمعنى الأفضل من غيرها"³⁹ لهذا نجد في علم اللغة الحديث أن هناك "فرق بين علم المفردات أو علم الألفاظ والصناعة المعجمية فالمصطلح الأول يشير إلى

دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات، ويهتم علم المفردات من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ وأبنيته، ودلالاتها المعنوية والإعرابية، والتعبير الاصطلاحي، والمترادفات، وتعدد المعاني⁴⁰ علم المفردات يختص بدراسة المفردات ومعانيها في لغة، أما علم الألفاظ يختص باشتقاق الألفاظ وأبنيته ودلالاتها المختلفة وغيره.

المستوى المعجمي: يتناول معنى أو معاني الكلمات، والتغيرات الصرفية الخاصة بها... هذا المستوى هو الذي يتناول دراسة المفردات، من حيث الصورة والدلالة معاً، بحيث يتولى وصف شكل الكلمة وعلاقتها بالمعنى الجزئي المحمول، ودراسة الدلالة دراسة سكونية ودراسة تاريخية، ليتبين مظاهر التغيرات الطارئة عليها، كما يعمل على تصنيف المفردات وإحصائها، والنظر في حياتها وموتها، وأصليها من دخليها⁴¹ المستوى المعجمي يختص بدراسة المفردات ودلالاتها وتتبعها تاريخياً بالوقوف على التغيرات التي طرأت عليها وهكذا.

لهذا يجمع الباحثون أن "أكثر الفروع اللسانية حاجة إلى الاعتراف بالكلمة هو فرع المعاجم، وذلك نظراً إلى أن الكلمة في المعجم هي المادة الأصلية التي عليها يُبنى، ومفهوم الكلمة في المعجم يختلف عن مفهومها في بقية المجالات اللسانية الأخرى"⁴² اللسانيات في شقها المختص بالمعاجم أصبح الدرس المعجمي فيها يحقق نتائج مثمرة، ويقدم للباحثين الشائق الكثير في عالم المصطلح. يميز "المعجميون بين المعجم باعتباره مجموع الكلمات في لسان ما وبين المفردات Vocabulaire، والمفردات هي المعجم المتعلق بمجال معين. ويتمثل الفرق بين المعجم والمفردات في اعتبار الأول مفهوماً نظرياً، مما يجعل حصر مجموع الكلمات فيه أمراً عسيراً، وهو ملك مشاع ينهل منه كل أفراد اللسان الواحد، وفي اعتبار الثاني أي المفردات القسط الذي يمتلكه كل فرد، وهو قادر على استعماله في وضعيات معينة، وعلى هذا الأساس تعتبر المفردات جزءاً من مجموع أكبر هو المعجم"⁴³

علم الصرف: (Morphologie):

هو جانب من علم اللسان، يتولى ما يعتري الألفاظ من تغيرات في وزن الكلمة وصيغتها وتكوينها، بحسب ما يقابلها من وظيفة دلالية ونحوية في إطار القواعد الخاصة لكل لسان معين بذاته، وهذه القواعد هي التي تجعل للكلمة مميزات وخصائصها على مستوى المعجم"⁴⁴ العلم الذي يبحث في المفردات يسميه العرب علم الصرف، والتصريف وهو عربي أصيل، "وهو لغة: التغيير، ومنه تصديق الرياح، أي تغييرها. واصطلاحاً بالمعنى العملي: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، والتثنية والجمع إلى غير ذلك. وبالمعنى العلمي: علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة"⁴⁵ علم الصرف يحتل المستوى الثاني من المستويات الصرفية فبه تُعرف أحوال أبنية الكلمات وتبدلاتها.

بهذا علم التصريف Morphology هو الحقل اللغوي الذي يدرس بنية الكلمة، وقد عرّفه المحدثون تعريفات متقاربة تكاد تُجمع على أن بنية الكلمة هي موضوع هذا العلم، حيث عرّفه روبينز بأنه "دراسة البنية

القواعدية للكلمات " كما عرّفه بعض اللغويين بأنه: "دراسة الوحدات الصغرى الحاملة للمعنى، والقواعد Rules التي تحكمها أي دراسة بنية الكلمة"⁴⁶ الوحدات الصغرى هي الكلمات الحاملة للمعنى، أما القواعد فهي تخص كيفية دراسة الكلمة.

بين الصرف والتصريف:

يظهر أن مصطلح تصريف "أبعد تاريخاً من مصطلح (صرف)، وأن أول الكتب في ذلك كان موسوما بكلمة تصريف لا بكلمة صرف، ذلك أن أقدم من ألف كتاباً في التصريف من علماء اللغة العربية هو أبو عثمان المازني (ت249هـ) وقد سمي كتابه (التصريف)"⁴⁷ على ضوء هذا يدل التصريف "على تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة وعلى سائر ما ينبجر عن ذلك من التغيرات الشكلية التي تطرأ على تلك الكلمة"⁴⁸ يتعلق الصرف بعملية التغيير والتبديل ومنه "التغيير ومنه (تصريف الرياح) أي تغيير اتجاهاتها بقدرته سبحانه، ولا يتعد معناها الاصطلاحي كثيراً عن هذا المعنى، فالصرف أو (التصريف) علم يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية وما لحروفها من أصالة وزيادة، وصحة واعتلال..."⁴⁹ وهو ما قدم له سيبويه في حديثه عن قواعد تصاريف الأبنية واشتقاق بعضها من بعض. ليأتي ق4هـ يظهر (ابن السراج (ت316هـ) في كتابه (الأصول في النحو) حيث يظهر أن تعريفه "يشتمل على قضايا اشتقاق المفردات وأنواع الأبنية كما يشمل على وجوه التعامل الصوتي التي تطرأ على المفردات كالإعلال والتماثل والقلب المكاني والتباين..."⁵⁰

أما ما يتعلق بثنائية (صرف/ تصريف) فيظهر أن "أول كتاب وصل إلينا باسم (الصرف) عوضاً عن تسمية (تصريف) هو كتاب (المفتاح في الصرف) لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، وبعد ذلك كتاب (نزهة الطرف في علم الصرف) لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت518هـ)"⁵¹ لكن يتبين "أن الانتقال إلى هذه التسمية كان من قبيل الاستبدال الشكلي غير الوظيفي، إذ لم يؤد ذلك إلى تغيير في مفهوم المصطلح، فقد ذهب الجرجاني في كتابه المفتاح إلى الصرف هو التصريف وأنه لا فرق بين المصطلحين سوى في الصيغة، فقال: اعلم أن التصريف تفعيل من الصرف"⁵² يظهر أن صلة علم الصرف بالمستويات اللغوية أكثر من ضروري فهو "مقدمة لدراسة النحو، فهو وسيلة لدراسة التركيب، لذا لا يصح تأخيرها إلى نهاية المؤلفات النحوية التقليدية، فالمعاني النحوية تتوقف بشكل أساسي على القيم الصرفية، ومن صميم البحث الصرفي دراسة المغايرة في الصيغ"⁵³ لهذا يعتبره الكثير من المواضيع اللغوية ذات الصعوبة، حيث يعزى انصرافهم عنه كما يرى ابن جني بسبب "صعوبة المادة حين يقول: "هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً صعباً بُدئ بمعرفة النحو، ثم جرى به بعد ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه"⁵⁴ الصعوبة في إدراك العلم ناجمة من الأدوات المستعملة والغاية.

أما عند المحدثين فيبحث الصرف "في الوحدات الصرفية (Morphemes) وأهم أمثلتها الكلمات وأجزائها ذات المعاني الصرفية كالسوابق واللاحقات.. لا يعرض الصرف كذلك للصيغ اللغوية ويصنعها إلى أجناس وأنواع بحسب وظائفها كأن يقسمها إلى أجناس الفعل، والاسم، والأداة، أو ينظر إليها من حيث التذكير والتأنيث، ومن حيث الإفراد والتثنية والجمع، إلى غير ذلك من كل ما يتصل بالصيغ المفردة"⁵⁵ حيث "اعتبر علماء اللغة المعجم مؤخرًا - نظرًا لأنه يختص بمعالجة الجانب العملي للغة- فرعًا من فروع علم اللغة التطبيقي... ولأن علم اللغة التطبيقي أسبق في الوجود من علم اللغة النظري فقد اعتبر اللغويون صناعة المعجم أسبق في الوجود من وضع نظرية له، وعدوها المحركة لتفكير العلماء في وضع مواصفات قياسية له"⁵⁶ فالصرف بهذا "يعني بالصيغ كما يعني بالتغيرات فيها سواء كانت عن طريق السوابق أو اللاحق أو التغيرات الداخلية فيها التي تؤدي إلى تغير المعنى الأساسي للكلمة ويعرف الوحدة الصرفية بأنه أصغر وحدة ذات معنى، ومنه المورفيم الحر المتصل أو المقيد..."⁵⁷

المورفولوجية العربية الحديثة والصناعة المعجمية:

المتتبع لتاريخ الأعمال المعجمية عن العرب يجد "ابن الطيب الفاسي (1110-1170هـ) في أعماله المعجمية المتعددة، وبخاصة في عمليه (شرح كفاية المتحفظ) و(إضاءة الراموس) مما أذكى الهمم، وأوجد نهضة معجمية عربية خلال ق 19 كن فرسان حلبتها (أحمد فارس الشدياق) و(إبراهيم البازجي) و(أنستاس الكرمللي) وغيرهم"⁵⁸ نسعى من خلال هذا الوقوف على معجم (المعجم الوسيط) الذي قام بإخراجه الدكتور (إبراهيم أنيس) والدكتور (عبد الحليم منتصر) والدكتور (عطية الصّوالحي) والدكتور (محمد خلف الله أحمد).

جاء في مقدمة الطبعة: "خرج هذا المعجم للناس منذ عشر سنين، فتقبلوه بقبول حسن، وأقبلوا على اقتنائه إقبالاً يدل عليه أن الطبعة الأولى قد نفذت أو كادت في زمن وجيز، وبذلك اتضح أن المعجم قد حقق رغبة منشودة لدى جمهور المثقفين من أبناء العربية والراغبين في دراستها"⁵⁹ إشادة حول المعجم والقبول الذي حظي به لدى القارئ والمتلقي العربي.

يظهر جلياً أن المعجم حظي وما زال يتلقى الاهتمام حتى من معامع اللغة كونه يسير الاستعمال ويحوي مادة معجمية ثرية ظهر في المقدمة في: "على أن أكبر ما غني الجمع بتعرف الرأي فيه، هو منهاج المعجم وخطته، ويبدو أن المعجم -من حيث ذلك- قد لقي من الرضى به، والاطمئنان إليه، حظاً موفوراً"⁶⁰ قيمة المعجم ما يحويه بين دفتيه من كنوز لغوية.

حقق المعجم للقارئ والباحث العربي غرضين هما: "أن يرجع إليه القارئ المثقف ليسعفه بما يسد الحاجة إلى تحرير الدلالة للفظ شائع أو مصطلح متعارف عليه. والغرض الآخر: أن يرجع إليه الباحث والدارس

لإسعافهما بما تمسّ الحاجة إليه من فهم نص قديم من المنشور أو المنظوم⁶¹ اتّضحت أهداف المعجم في سهولته ويسره.

محتوى المعجم: يشتمل المعجم الوسيط "على نحو 30 ألف كلمة، و600 صورة، ويقع في جزأين كبيرين يحتويان على 1200 صفحة من 3 أعمدة، ويكاد يزيد في حجمه على (أقرب الموارد)، ولكن لا سبيل إلى مقارنته بأي معجم من معاجم ق20 العربية، فهو دون نزاع أوضح، وأدقّ، وأضبط، وأحكم منهجا، وأحدث طريقة، وهو فوق هذا مجلد ومعاصر، يضع ألفاظ ق20 إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة، ويثبت أن في العربية وحدة تضم أطرافها، وحيوية تستوعب كل ما اتصل بها وتصوغه في قالبها فيه ألفاظ حديثة، ومصطلحات علمية"⁶² نقلتا هذا النص كاملا كونه يوضّح بدقة محتوى المعجم ويظهره في سلاسة، ويرغب القارئ والباحث في الاعتماد عليه، كون يجمع بين أزمان مختلفة للغة في كرونولوجية تاريخية متجاوزا كل الحدود التي وضعت سابقا.

منهج المعجم: مرّ معنا سابقا في المدارس المعجمية أن لكل معجم منهج يسير عليه في ترتيب ألفاظه باتّباع منهج ألف بائي أو صوتي أو نظام القافية، لهذا وجب علينا الوقوف على منهج (المعجم الوسيط) لنقرّب للقارئ عن كتب المعجم. يتلخّص "المنهج الذي نهجته اللجنة في ترتيب مواد المعجم فيما يلي:

- 1- تقديم الأفعال على الأسماء.
- 2- تقديم المجرد على المزيد من الأفعال.
- 3- تقديم المعنى الحسّي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي.
- 4- تقديم الفعل اللازم على الفعل المتعدّي
- 5- رتّب الأفعال على النحو التالي:
 - 1) فَعَلَ يفعل كنصر ينصر
 - 2) فَعَلَ يفعل كضرب يضرب.
 - 3) فَعَلَ يفعل كفتح يفتح.
 - 4) فَعَلَ يفعل كعلم يعلم
 - 5) فَعُلَ يفعل كشرف يشرف
 - 6) فَعَلَ يفعل كحسب يحسب.

أما الأسماء فقد رتّبت ترتيبا هجائيا⁶³ يكون هذا اجتهد المؤلفين في دراسة مواد الألفاظ باتّباع نهج ثري وممتع للباحث العربي. أما بالنسبة للمنهج فهو (هجائي) باتّباع أوائل الكلم ثم الثواني ثم الثوالت من الحروف.

نموذج من المعجم: باب القاف

"(القاف): الحرف الحادي والعشرون من حروف الهجاء، وهو في الأصل مجهور أصابه التهميس في معظم الألسنة الآن، وهو أيضا شديد مفخم، مخرجه من اللهاة مع أقصى الحنك الأعلى، وتطورت القاف في اللهجات العامية تطورا أبعد أثرا، فهي تسمع في لغة الكلام همزة، وفي بعض القراءات وفي اليمن وصعيد مصر وبين كثير من قبائل البدو تنطق كالجاف الفارسية"⁶⁴ يظهر مجموعة من العلوم في هذه الفقرة، من الصوتيات، وعلم اللهجات، والقراءات القرآنية، وجغرافية اللغات، وهي تنم عن ثراء معرفي لغوي داخل متن المعجم.

(قَاب): الطعام أو الشراب - قَائًا تناول كل ما في الإناء منه.

(قَيْب) من الشراب - قَائًا: امتلأ

(القَوْب): الكثير الشرب"⁶⁵ يوضح المثال (المنهج الهجائي) في تتبع اللفظة.

(قَرَأَ): الكتاب - قِرَاءَةً، وقُرَأَ: تتبّع كلماته نظر ونطق بها. وتتبع كلماته ولم ينطق بها؛ وسميت (حديثا) بالقراءة الصامتة. والآية من القرآن: نطق بالفاظها عن نظر أو عن حفظ، فهو قارئ. (ج) قُرَاء"⁶⁶

بهذا تعتبر المعاجم نتاج لغوي قائم على الجمع والترتيب في كتاب، فهو الوعاء اللغوي لذي يجمع ألفاظ اللغة، فهو خطّ التقاء اللغة، قواعدها ومبادئها وهيكلها وأنماطها وقيودها، مع العالم بشتى تشكلاته على اتّساعه.

الهوامش:

- 1 - فهد خليل زايد ومحمد صلاح رمان، معالم في اللغة العربية، دار الأعصار العلمي، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص16.
- 2 - إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ص11.
- 3 - فهد خليل زايد ومحمد صلاح رمان، معالم في اللغة العربية، ص16.
- 4 - صلاح الدين ززال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، عام 2008، ص72.
- 5 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوية العربية، دار النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص23.
- 6 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوية العربية، ص23.
- 7 - حسين نصار، المعجم العربي، دار الجاحظ، بغداد، 1980، ص03.
- 8 - صلاح روي، المدارس المعجمية العربية نشأتها تطورها مناهجها، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1990، ص07.
- 9 - صلاح روي، المدارس المعجمية العربية نشأتها تطورها مناهجها، ص07.
- 10 - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دار طلاس، دمشق، د ط، د س، ص35.
- 11 - عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط2، 2014، ص67.
- 12 - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص36.

- 13 - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص 36.
- 14 - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص 38.
- 15 - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص 39.
- 16 - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص 40.
- 17 - عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1994، ص 36.
- 18 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوي العربية، ص 22.
- 19 - فوزي يوسف الهابط، المعاجم العربية موضوعات وألفاظا، دار الولا، القاهرة، ط1، 1996، ص 06.
- 20 - الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقسوسي، مادة (عجم)، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص 1135.
- 21 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوي العربية، ص 17.
- 22 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوي العربية، ص 17.
- 23 - عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر، ط1، 1989، عمان، الأردن، ص 114.
- 24 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوي العربية، ص 17.
- 25 - عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدلالة والمعجم العربي، ص 114.
- 26 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوي العربية، ص 17.
- 27 - أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوية العربية، ص 29.
- 28 - عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدلالة والمعجم العربي، ص 114.
- 29 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، علم الكتب، القاهرة، ط2، 2009، ص 36.
- 30 - عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدلالة والمعجم العربي، ص 116.
- 31 - صلاح روي، المدارس المعجمية العربية نشأتها، تطورها، مناهجها، دار الثقافة العربية، القاهرة، د ط، 1990، ص 37.
- 32 - أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها وسائل تنميتها، ص 202.
- 33 - صلاح روي، المدارس المعجمية العربية نشأتها، تطورها، مناهجها، ص 37.
- 34 - أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها وسائل تنميتها، ص 204.
- 35 - صلاح روي، المدارس المعجمية العربية نشأتها، تطورها، مناهجها، ص 39.
- 36 - حسن جعفر نور الدين، المعاجم والموسوعات بين الماضي والحاضر، شركة رشاد برس، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 59.
- 37 - حسن جعفر نور الدين، المعاجم والموسوعات بين الماضي والحاضر، ص 58.
- 38 - حسن جعفر نور الدين، المعاجم والموسوعات بين الماضي والحاضر، ص 59.
- 39 - عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط1، 2007، ص 16.
- 40 - علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، ط2، 1991، ص 03.
- 41 - ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية في ضوء البحث اللساني والنظريات التربوية، دار هومة، الجزائر، د ط، 2010، ص 45.

- 42 - عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، ص172.
- 43 - عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، ص172.
- 44 - ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية في ضوء البحث اللساني والنظريات التربوية، ص74.
- 45 - أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، تح محمد بن عبد المعطي، دار الكيان، د ط، د س، ص49.
- 46 - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، ص265.
- 47 - محمد شندول، الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2015، ص09.
- 48 - محمد شندول، الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية، ص09.
- 49 - رمضان عبد الله، الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، مكتبة بستان المعرفة، مصر، ط1، 2005، ص04.
- 50 - محمد شندول، الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية، ص10.
- 51 - محمد شندول، الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية، ص13.
- 52 - محمد شندول، الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية، ص13.
- 53 - رمضان عبد الله، الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، ص07.
- 54 - غنيم غانم الينعاوي، جهود ابن جني في الصرف وتقومها في ضوء علم اللغة الحديث، المكتبة التجارية، السعودية، ط1، 1995، ص04.
- 55 - رمضان عبد الله، الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، ص05.
- 56 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2009، ص31.
- 57 - رمضان عبد الله، الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، ص05.
- 58 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص28.
- 59 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ط2، 1972، ص03.
- 60 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص05.
- 61 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص05.
- 62 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص10.
- 63 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص15.
- 64 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص709.
- 65 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص709.
- 66 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص722.